

فصل

في سرية نجد

ثم بعث رسول الله ﷺ خيلاً قبل نجد، فجاءت بثمامة بن أثال الحنفي سيد بنى حنيفة، فربطه رسول الله ﷺ إلى سارية من سواري المسجد، ومربه، وقال: «ما عندك يا ثمامة؟» فقال: يا محمد، إن تَقْتُلْ تَقْتُلْ ذا دم، وإن تُنْعِمَ تُنْعِمَ على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل تعط منه ما شئت، فتركه، ثم مر به مرة أخرى، فقال له مثل ذلك، فرد عليه كما رد عليه أولاً، ثم مر مرة ثالثة^(١) فقال: «أطلقوا ثمامة»، فأطلقوه.

فذهب إلى نخل^(٢) قريب^(٣) من المسجد فاغتسل، ثم جاء، فأسلم، وقال: والله ما كان على وجه الأرض وَجْهٌ أَبْغَضَ إلى من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه كلها إلى، والله ما كان على وجه الأرض دين أبغض إلى من دينك، فقد أصبح دينك أحب الأديان إلى، وإن خيلك أخذتني، وأنا أريد العمرة، فبشره رسول الله ﷺ، وأمره أن يعتمر.

فلما قدم على قريش، قالوا: صَبَّوْا يا ثمامة؟ قال: لا والله ولكني أسلمت مع محمد ﷺ، ولا والله لا يأتيكم من الياמה حبة حنطة حتى يأذن فيها رسول الله ﷺ^(٤).

وكانت الياמה ريف مكة، فانصرف إلى بلاده، ومنع الحمل إلى مكة حتى جهدت قريش، فكتبوا إلى رسول الله ﷺ يسألونه بأرحامهم أن يكتب إلى ثمامة يُحِلِّيَ إليهم حمل الطعام، ففعل رسول الله ﷺ.

(١) في ق: «ثم مر به ثالثة»، وما أثبتناه من خ، ك، هـ.

(٢) في هـ: «نخل»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.

(٣) في هـ: «قريباً»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.

(٤) البخاري في المغازي (٤٣٧٢).

فصل

في غزوة الغابة

ثم أغار عُيَيْنَةُ بن حِصْنِ الفزارى في بنى عبد الله بن غَطَفَانَ على لِقَاح^(١) النبي ﷺ التي بالغابة^(٢)، فاستاقها، وقتل راعيها، وهو رجل من غِفَار، واحتملوا امرأته، قال عبد المؤمن بن خلف : وهو ابن أبى ذر، وهو غريب جدا، فجاء الصريخ، فنودى : يا خيل الله اركبى، وكان أول ما نودى^(٣) بها، وركب رسول الله ﷺ مُقَنَّعًا في الحديد، وكان أول من أقبل إليه المقداد بن عمرو في الدرع، والمِغْفَر، فعقد له رسول الله ﷺ اللواء في رمحه، وقال : «امض حتى تلحقك الخيول، وأنا على أثرك»، واستخلف رسول الله ابن أم مكتوم، وأدرك سلمة بن الأكوع القوم وهو على رجله، فجعل يرميهم بالنبل ويقول :

خُذْهَا وَأَنَا ابْنُ الْأَكُوعِ وَالْيَوْمَ يَوْمُ الرُّضْعِ^(٤)

حتى انتهى بهم إلى ذى قَرْدٍ، وقد استنقذ منهم جميع اللقاح، وثلاثين بُرْدَةً قال سلمة : فلاحقنا رسول الله ﷺ، والخيل عشاء، فقلت : يا رسول الله إن القوم عطاش، فلو بعثتني في مائة رجل استنقذت ما في أيديهم من السَّرْحِ^(٥)، وأخذت بأعناق

(١) اللَّقَاح : هى النوق ذوات الألبان . الواحدة لُقُوح .

(٢) الغَابَةُ : مكان قرب المدينة من ناحية الشام .

(٣) فى هـ : «من نودى»، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك .

(٤) الرُّضْع : اللثام، من قولهم : لثيم راضع، وهو الذى رضع اللؤم من ثدى أمه . وأصله : أن رجلا كان يَرْضَعُ إبله؛ لئلا يُسْمَعَ صوتُ حمله فيُطلب منه! والمعنى : هذا يوم هلاك اللثام .

(٥) السَّرْح : الماشية .

وقوله : «ملككت فأسجج» : الأسجج : السَّهْل، والمعنى : قَدَّرْتُ فَسَهَّلْتُ وأَحْيَيْتُ الْعَقُورَ، وهو مثل سائر .

القوم، فقال النبي ﷺ: «مَلَكْتَ فَأَسْجِجْ» ثم قال: «إِنَّهُمْ الْآنَ لَيَقْرُونَ فِي غُطْفَانٍ».

وذهب الصريخ بالمدينة إلى بنى عمرو بن عوف، فجاءت الأمداد، ولم تنزل الخيل تأتي، والرجال على أقدامهم وعلى الإبل، حتى انتهوا إلى رسول الله ﷺ بذي قَرْدٍ.

قال عبد المؤمن بن خلف: فاستنقذوا عشر لقاح، وأفلت القوم بما بقي، وهو عشر.

قلت: وهذا غلط بيِّن، والذي في الصحيحين: أنهم استنقذوا اللقاح كلها، ولفظ مسلم في صحيحه عن سلمة: «حتى ما خلق الله من شيء من لقاح رسول الله ﷺ، إِلَّا خَلَقْتَهُ وراءَ ظهري، واستلبتُ منهم ثلاثين بُرْدَةً»^(١).

فصل

وهذه الغزوة كانت بعد الحُدَيْبِيَّةِ، وقد وَهَمَ^(٢) فيها جماعة من أهل المغازي والسير، فذكروا أنها كانت قبل الحديبية، والدليل على صحة ما قلناه: ما رواه الإمام أحمد، والحسن بن سفيان عن أبي بكر بن أبي شيبة، [قال]^(٣): حدثنا هاشم بن القاسم، قال: حدثنا عكرمة بن عمار قال: حدثني إياس بن سلمة، عن أبيه قال: قدمت المدينة زمن الحديبية مع رسول الله ﷺ قال: فخرجت أنا ورباح بفرس لطلحة أُنْذِيهِ مع الإبل، فلما كان بغلَسٍ، أغار عبد الرحمن بن عيينة على إبل رسول

(١) البخاري في المغازي (٤١٩٤)، ومسلم في الجهاد (١٨٠٦ / ١٣١)، وأبو داود في الجهاد (٢٧٥٢)، وأحمد (٤٨ / ٤) والشرح: الماشية. وقوله: «مَلَكْتَ فَأَسْجِجْ». الأسجج: السَّهْل، والمعنى: قدرت فسَهَّل وأحسن العَفْو، وهو مثل سائر.

(٢) في خ: «توهم»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٣) ليست في خ، ق، ك، وما أثبتناه من هـ.

الله ﷺ، فقتل راعيها، وساق القصة . رواها مسلم في صحيحه بطولها^(١) .

وَوَهَمَ عبد المؤمن بن خلف في سيرته في ذلك، وَهْمًا يَبِينًا، فذكر غزاة بنى لحيان بعد قريظة بستة أشهر، ثم قال : لما قدم رسول الله ﷺ المدينة لم يمكث إلا ليالي حتى أغار عبد الرحمن بن عيينة، وذكر القصة، والذي أغار عبد الرحمن، وقيل : أبوه عيينة بن حصن [ابن]^(٢) حذيفة بن بدر، فأين هذا من قول سلمة : قدمت المدينة زمن الحديبية؟^(٣) .

وقد ذكر الواقدي عدة سرايا في سنة ست من الهجرة قبل الحديبية، فقال :

بعث رسول الله ﷺ في ربيع الأول - أو قال : الآخر - سنة ست من قدومه المدينة، عُكَّاشَةُ بن مَحْصَنَ الأسدي في أربعين رجلاً إلى الغمر، وفيهم ثابت بن أقرم، وسَبَّاح بن وهب، فَأَجَدَّ السير، وَنَدَرَ القوم بهم، فهربوا، فنزل على مياههم، وبعث الطلائع، فَأَصَابُوا مَنْ دَكَّمْ على بعض ماشيتهم، فوجدوا مائتي بعير، فساقوها إلى المدينة^(٤) .

وبعث سرية أبي عبيدة بن الجراح إلى ذى القَصَّة فساروا ليلتهم مشاة، ووافوها مع الصبح، فأغاروا عليهم، وأعجزوهم هرباً في الجبال، وأصابوا رجلاً واحداً، فَأَسْلَمَ^(٥) .

(١) مسلم في الجهاد والسير (١٨٠٧ / ١٣٢)، وأحد (٥٤ / ٤)، (٥٤) .

وقوله : «أُنْدِيَه» : التَّنْدِيَة : أن يورد الرجل الإبل والخيل فتشرب قليلاً، ثم يردها إلى المرعى ساعة، ثم تعاد إلى الماء .

(٢) ليست في خ، ق، ك، وما أثبتناه من هـ .

(٣) السيرة النبوية لابن هشام (٢٢٧ / ٣)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٦١ / ٢)، ودلائل النبوة للبيهقي (١٧٨ / ٤ - ١٩٣) .

(٤) الطبقات الكبرى لابن سعد (٦٥ / ٢)، ودلائل النبوة للبيهقي (٨٣ / ٤) .

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد (٦٦ / ٢)، ودلائل النبوة للبيهقي (٨٣ / ٤٠)، وسبل الهدى والرشاد للصالحي (٨١ / ٦) .

وبعث محمد بن مسلمة في ربيع الأول في عشرة^(١) نفر سرية، فكَمَّنَ القوم لهم حتى ناموا، فما شعروا إلا بالقوم، فقتل أصحاب محمد بن مسلمة، وأفلت محمد جريحاً^(٢).

وفي هذه السنة - وهي سنة ست - كانت سرية زيد بن حارثة بالجُمُوم، فأصاب امرأة من مُزَيْنَةَ يقال لها: حليلة، فدلّتهم على محلّة^(٣) من محال بني سليم، فأصابوا نَعْمًا، وشاء، وأسرى، وكان في أول الأسرى زوج حليلة، فلما قفل [زيد بن حارثة]^(٤) بها أصاب، وهب رسول الله ﷺ للمزنية نفسها، وزوجها^(٥).

وفيها - يعني: سنة ست - كانت سرية زيد بن حارثة إلى الطَّرِف في جمادى الأولى إلى بني ثعلبة في خمسة عشر رجلاً، فهربت الأعراب، وخافوا أن يكون رسول الله ﷺ سار إليهم فأصاب من نعمهم عشرين بعيراً، وغاب أربع ليال^(٦).

وفيها كانت سرية زيد بن حارثة إلى العيص^(٧) في جمادى الأولى، وفيها: أخذت الأموال التي كانت مع أبي العاص بن الربيع زوج زينب مرجعه من الشام، وكانت أموال قريش.

قال ابن إسحاق: حدثني عبد الله بن أبي بكر بن محمد بن حزم قال: خرج أبو

(١) في خ، هـ: «عشر»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٦٥)، ودلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٨٣، ٨٤)، وسبل الهدى والرشاد للصالحي (٦/ ٧٩).

(٣) في خ: «محل»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٤) ليست في ق، ك، هـ، وما أثبتناه من خ.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٦٦)، ودلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٨٣، ٨٤)، وسبل الهدى والرشاد للصالحي (٦/ ٨٢).

(٦) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٦٧)، ودلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٨٤)، وسبل الهدى والرشاد (٦/ ٨٧).

والطَّرِف: ماء على مسافة ستة وثلاثين ميلاً من المدينة.

(٧) في هـ: «الغيض». والعيص: اسم موضع قرب المدينة على ساحل البحر.

العاص، بن الربيع [زوج زينب] ^(١) تاجرا إلى الشام، وكان رجلا مأمونا، وكانت معه بضائع لقريش، فأقبل قافلا، فلقيته سرية لرسول الله ﷺ فاستاقوا غيره، وأفلت، وقدموا على رسول الله ﷺ بها أصابوا فقسمه بينهم .

وأتى أبو العاص المدينة، فدخل على زينب بنت رسول الله ﷺ، فاستجار بها، وسألها أن تطلب له من رسول الله ﷺ رد ^(٢) ماله عليه، وما كان معه من أموال الناس .

فدعا رسول الله ﷺ السرية فقال : «إن هذا الرجل منا حيث قد علمتم، وقد أصبتم له مالا، ولغيره، وهو فيء الله الذي أفاء عليكم، فإن رأيتم أن تردوا عليه فافعلوا، وإن كرهتم فأنتم وحقكم» فقالوا : بل نرده عليه يا رسول الله، فردوا عليه والله ما أصابوا، حتى إن الرجل ليأتي بالشَّنَّ ^(٣)، والرجل بالإداوة والرجل بالحبل، فيما تركوا قليلا أصابوه، ولا كثيرا إلا ردوه عليه .

ثم خرج حتى قدم مكة فأدى إلى الناس بضائعهم، حتى إذا فرغ قال : يا معشر قريش، هل بقي لأحد منكم معنى مال لم أردّه عليه؟ قالوا : لا، فجزاك الله خيرا قد وجدناك وفيا كريما، فقال : أما والله ما منعني ^(٤) أن أسلم قبل أن أقدم عليكم، إلا تخوفا أن تظنوا أنني إنما أسلمت لأذهب بأموالكم، فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله ^(٥) .

وهذا القول من الواقدي وابن إسحاق يدل على أن قصة أبي العاص كانت قبل الحديبية، وإلا فبعد الهدنة لم تتعرض سرايا رسول الله ﷺ لقريش، ولكن زعم

(١) ليست في ق، ك، هـ، وما أثبتناه من خ .

(٢) في خ : «فدخل على زينب بنت رسول الله ﷺ يريد ماله»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ .

(٣) الشَّنَّ : القُرْبَةُ البالية، وهى أشد تبريدا للهاء من الجُدُد .

(٤) في خ : «ما أبقي والله ما منعني»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ .

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٦٦، ٦٧)، ودلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٨٥، ٨٦)، وسبل الهدى

والرشاد (٦/ ٨٣) .

موسى بن عقبة أن قصة أبى العاص كانت بعد الهدنة، وأن الذى أخذ الأموال أبو بصير، وأصحابه، ولم يكن ذلك بأمر رسول الله ﷺ؛ لأنهم كانوا منحازين عنه بسيف البحر^(١)، وكانت لا تمر بهم غير لقريش إلا أخذوها، هذا قول الزهرى .

قال موسى بن عقبة، عن ابن شهاب فى قصة أبى بصير : ولم يزل أبو جندل، وأبو بصير وأصحابهما الذين اجتمعوا إليهما هنالك، حتى مر بهم أبو العاص بن الربيع، وكانت تحته زينب بنت رسول الله ﷺ فى نفر من قريش، فأخذوهم وما معهم، وأسروهم، ولم يقتلوا منهم أحدا لصهر رسول الله ﷺ من أبى العاص، وأبو العاص يومئذ مشرك، وهو ابن أخت خديجة بنت خويلد لأمها وأبيها، وخلوا سبيل أبى العاص، فقدم المدينة على امرأته زينب فكلمها أبو العاص فى أصحابه الذين أسرهم^(٢) أبو جندل^(٣)، وأبو بصير^(٤)، وما أخذوا لهم^(٥) .

فكلمت رسول الله ﷺ فى ذلك، فزعموا أن رسول الله ﷺ قام فخطب الناس، فقال : «إنا صاهرنا أناسا، وصاهرنا أبا العاص، فنعم الصهر وجدناه، وإنه أقبل من الشام فى أصحاب له من قريش، فأخذهم أبو جندل، وأبو بصير، وأخذوا ما كان معهم، ولم يقتلوا منهم أحدا، وإن زينب بنت رسول الله ﷺ سألتنى أن أجيرهم، فهل أنتم مجيرون أبا العاص وأصحابه؟»، فقال الناس : نعم .

فلما بلغ أبا جندل، وأصحابه قول رسول الله ﷺ فى أبى العاص وأصحابه الذين كانوا عنده من الأسرى رد عليهم^(٦) كل شىء أخذ منهم حتى العقال وكتب

(١) سيف البحر : أى ساحله .

(٢) فى خ، هـ : «أسروا»، وما أثبتناه من ق، ك .

(٣) فى خ، ق : «أبا جندل»، وما أثبتناه من ك، هـ .

(٤) فى هـ : «أبا جندل وأبا بصير» .

(٥) فى خ : «له»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ .

(٦) فى هـ : «إليهم»، وما أثبتناه من خ، ق، ك .

رسول الله ﷺ إلى أبي جندل، وأبى بصير يأمرهم^(١) أن يقدموا عليه^(٢)، ويأمر من معها من المسلمين أن يرجعوا إلى بلادهم، وأهلهم، وألا يتعرضوا لأحد من قريش، وغيرها .

فقدم كتاب رسول الله ﷺ على أبى بصير، وهو فى الموت، فمات وهو على صدره، فدفنه أبو جندل [مكانه]^(٣)، وقدم أبو جندل على رسول الله ﷺ، وأمنت عيرا قريش، وذكر باقى الحديث^(٤) .

وقول موسى بن عقبة أصوب، وأبو العاص إنما أسلم زمن الهدنة، وقريش إنما انبسطت عيراتها إلى الشام زمن الهدنة، وسياق الزهرى للقصة يبين أنها كانت فى زمن الهدنة .

قال الواقدي : وفيها أقبل دحية بن خليفة الكلبي من عند قيصر، وقد أجاز بهال وكسوة، فلما كان بحسمى^(٥) لقيه ناس من جذام، فقطعوا عليه الطريق، فلم يتركوا معه شيئا، فجاء رسول الله ﷺ قبل أن يدخل بيته، فأخبره، فبعث رسول الله ﷺ زيد بن حارثة إلى حسمى، [قلت]^(٦) : وهذا بعد الحديبية بلا شك^(٧) .

قال الواقدي : وخرج على ﷺ فى مائة رجل إلى فدك إلى حى من بنى سعد بن بكر، وذلك أنه بلغ رسول الله ﷺ أن لهم جمعا يريدون أن يمدوا يهود خيبر، ففسار

(١) فى هـ : «يأمرهما»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.

(٢) فى خ : «عليهم»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٣) ليست فى خ، ق، ك، وما أثبتناه من هـ .

(٤) انظر : سبل الهدى والرشاد للصالحى (٦ / ٨٣، ٨٤) .

(٥) حسمى : أرض بالبادية بها جبال شواحق، تقع خلف وادى القرى . وقيل : هى قبيلة جذام .

(٦) ليست فى خ، ق، ك، وما أثبتناه من هـ .

(٧) دلائل النبوة للبيهقى (٤ / ٨٤) .

إليهم، يسير الليل وَيَكْمُنُ النهار، فأصاب عينا لهم، فأقر له أنهم بعثوه إلى خيبر، فعرضوا عليهم نصرهم^(١) على أن يجعلوا لهم ثمر خيبر^(٢).

قال : وفيها سرية عبد الرحمن بن عوف إلى دُومَة الجُنْدَل في شعبان، فقال له رسول الله ﷺ: «إن أطاعوا، فتزوج ابنة ملكهم»، فأسلم القوم، فتزوج عبد الرحمن ثَمَاضَ بنت الأَصْبَغ، وهي أم أبي سلمة، وكان أبوها رأسهم وملكهم^(٣).

قال : وكانت سرية كُرْز بن جابر الفَهْرِي^(٤) إلى العُرَيْنَيْن الذين قتلوا راعي رسول الله ﷺ واستاقوا الإبل في شوال سنة ست، وكانت السرية عشرين فارسا^(٥). قلت : وهذا يدل على أنها كانت قبل الحديبية، [فإن الحديبية]^(٦) كانت في ذي القعدة كما سيأتى، وقصة العرينين في الصحيحين من حديث أنس أن رهطا من عُكْلٍ، وعُرَيْنَةٍ، أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله، إنا أهل ضَرْع، ولم نكن أهل ريف، فاستَوْحَمْنَا المدينة، فأمرهم رسول الله ﷺ بِذَوْدٍ، وأمرهم أن يخرجوا فيها، فيشربوا من أبوالها وألبانها، فلما صَحُّوا قتلوا راعي رسول الله ﷺ، واستاقوا الذود، وكفروا بعد إسلامهم - وفي لفظ لمسلم : وَسَمَلُوا أعين الراعى - فبعث رسول الله ﷺ في طلبهم، فأمر بهم، فقطع أيديهم وأرجلهم، [وسَمَل أعينهم]

(١) في هـ : «نصرتهم»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٦٩)، ودلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٨٤، ٨٥)، وسبل الهدى والرشاد للصالحى (٦/ ٩٧).

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٦٨)، ودلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٨٥)، وسبل الهدى والرشاد للصالحى (٦/ ٩٣، ٩٤).

(٤) في خ، هـ : «كرز بن خالد الفهري»، وما أثبتناه من ق، ك.

(٥) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٧١)، ودلائل النبوة للبيهقي (٤/ ٨٥، ٨٦)، وسبل الهدى والرشاد للصالحى (٦/ ١١٥ - ١١٧).

(٦) ساقط من المطبوع.

وتركهم في ناحية الحرّة حتى ماتوا^(١).

وفي حديث أبي الزبير عن جابر: فقال رسول الله ﷺ: «اللهم عمّ عليهم الطريق، واجعلها عليهم أضيق من مسك جمل»، فعَمّى الله عليهم السبيل، فأدركوا وذكر القصة^(٢).

وفيها من الفقه: جواز شُرْب أبوال الإبل، وطهارة بول مأكول اللحم، والجمع للمحارب إذا أخذ المال وقتل، بين قطع يده، ورجله، وقتله، وأنه يفعل بالجاني كما فعل، فإنهم لما سملوا أعين^(٣) الراعى سمل أعينهم.

وقد ظهر بهذا أن القصة محكمة ليست منسوخة، وإن كانت قبل أن تنزل الحدود، فالحدود نزلت بتقريرها لا بإبطالها، والله أعلم.

(١) البخارى في الجهاد (٣٠١٨)، ومسلم في القسامة (٩ / ١٦٧١). وما بين المعقوفين من صحيح مسلم، وهى زيادة لا بد منها ليستقيم التعليق على الحديث في الفقرة التالية.

وقولهم: «فاسْتَوْحْنَا المدينة»: أى استقلناها، ولم يوافق هواؤها أبداننا. والدُّود - من الإبل: ما بين الثنتين إلى التسع، وقيل: ما بين الثلاث إلى العشر. وسَمَلُ العين: هو فقؤها بحديدة مُحَمَّاة وغيرها، وقيل: هو فقؤها بالشوك.

(٢) دلائل النبوة للبيهقى (٤ / ٨٨)، والبداية والنهاية (٤ / ١٨٢). والمسك: الجلد.

(٣) فى هـ: «عين»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.

فصل

في قصة الحُدَيْيَّة

قال نافع : كانت سنة ست في ذى القعدة، وهذا هو الصحيح، وهو قول الزهري، وقتادة وموسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق، وغيرهم .

وقال هشام بن عروة [عن أبيه]^(١) : خرج رسول الله ﷺ إلى الحديبية في رمضان، وكانت في شوال، وهذا وهم، [وإنما]^(٢) كانت غزاة الفتح في رمضان، وقد قال أبو الأسود عن عروة : إنها كانت في ذى القعدة على الصواب .

وفي الصحيحين عن أنس : أن النبي ﷺ اعتمر أربع عُمَر، كلهن في ذى القعدة، فذكر منها عمرة الحديبية^(٣) .

وكان معه ألف وخمسمائة، هكذا في الصحيحين عن جابر^(٤)، وعنه فيهما : كانوا ألفاً وأربعمائة^(٥)، وفيهما : عن عبد الله بن أبي أوفى : كنا ألفاً، وثلاثمائة^(٦)، قال قتادة لسعيد بن المسيب : كم كان الذين شهدوا بيعة الرضوان؟ قال : خمس عشرة^(٧) مائة، قال : قلت : فإن جابر بن عبد الله قال : كانوا أربع عشرة مائة، قال : يرحمه الله وَهَمَ هو حدثني أنهم كانوا خمس عشرة^(٨) مائة^(٩) .

(١، ٢) ليست في ق، ك، هـ، وما أثبتناه من خ .

(٣) البخاري في المغازي (٤١٤٨)، ومسلم في الحج (١٢٥٣ / ٢١٧) .

(٤) البخاري في المغازي، (٤١٣٥)، ومسلم في الإمامة (١٨٥٦ / ٧٢، ٧٣) .

(٥) البخاري في المغازي (٤١٥٤)، ومسلم في الإمامة (١٨٥٦ / ٦٧) .

(٦) البخاري في المغازي (٤١٥٥)، ومسلم في الإمامة (١٨٥٧ / ٧٥) .

(٨، ٧) في ق : «خمس عشر»، وما أثبتناه من خ، ك، هـ .

(٩) فتح الباري (٧ / ٤٤٣)، وعزاه للإسماعيلي .

قلت : وقد صح عن جابر القولان، وصح عنه أنهم نحروا عام الحديبية سبعين بدنة، البدنة عن سبعة، فليل له : كم كنتم ؟ قال : ألفا وأربعمائة بخيلنا ورجلنا^(١) يعني فارسهم، وراجلهم، والليل^(٢) إلى هذا أميل، وهو قول البراء بن عازب، ومَعْقِل بن يسار، وسلمة بن الأكوع، في أصح الروايتين، وقول المسيب بن حزن، قال شعبة : عن قتادة عن سعيد بن المسيب عن أبيه : كنا مع النبي ﷺ تحت الشجرة ألفا وأربعمائة .

وغلط غلطا بيّنا من قال : كانوا سبعمائة، وعُدُّهُ أنهم نحروا يومئذ سبعين بدنة، والبدنة قد جاء إجزاؤها^(٣) عن سبعة، وعن عشرة، وهذا لا يدل على ما قاله هذا القائل، فإنه قد صرح بأن البدنة كانت في هذه [العمرة]^(٤) عن سبعة، فلو كانت السبعون^(٥) عن جميعهم لكانوا أربعمائة وتسعين^(٦) رجلا، وقد قال في تمام الحديث بعينه : إنهم كانوا ألفا وأربعمائة .

فصل

فلما كانوا بذى الحليفة قَلَّد رسول الله ﷺ الهدى، وأشعره، وأحرم بالعمرة، وبعث بين يديه عينا له من خُزَاعَة يخبره عن قريش، حتى إذا كان قريبا من عُسْفان أتاه عينه، فقال : إني تركت كعب بن لؤي قد جمعوا لك الأحابيش^(٧)، وجمعوا لك

(١) مسلم في الحج (١٣١٨ / ٣٥٠)، وأحمد (٣ / ٣٩٦)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٢ / ٧٨) .

(٢) في ق : «والقول»، وما أثبتناه من خ، ك، هـ .

(٣) في ق : «إخراجها»، وما أثبتناه من خ، ك، هـ .

(٤) ليست في ق، ك، هـ، وما أثبتناه من خ .

(٥) في هـ : «السبعين»، وما أثبتناه من خ، ق، ك .

(٦) في هـ : «سبعين»، وما أثبتناه من خ، ق، ك .

(٧) الأحابيش : جُمُوعٌ من بني الهون بن خزيمه بن مدركة بن الحارث بن عبد مناة بن كنانة، وبني المصطلق، كانوا قد تحالفوا مع قريش . وسَمُوا بذلك لِتَحَبُّسِهِمْ أَى : تَجَمُّعِهِمْ .

جموعاً، وهم مقاتلوك، وصادوك عن البيت، [ومانعوك] ^(١).

فاستشار النبي ﷺ أصحابه، وقال: «أترون أن نميل إلى ذراري هؤلاء الذين أعانوهم، فنصيبهم، فإن قعدوا قعدوا موتورين» ^(٢)، محروبين، وإن يحيؤوا تكن عنقا قطعها الله، أم ترون أن نؤم البيت، فمن صدنا [عنه] ^(٣) قاتلناه؟»، فقال أبو بكر رضي الله عنه: «الله ورسوله أعلم، إنا» ^(٤) جئنا معتمرين ولم نجئ لقتال أحد، ولكن من حال بيننا وبين البيت قاتلناه، فقال النبي ﷺ: «[فَرَوْحُوا] ^(٥) إذا»، فراحوا.

حتى إذا كانوا ببعض الطريق، قال النبي ﷺ: «إن خالد بن الوليد بالغميم في جند لقریش طليعة، فخذوا ذات اليمين» فوالله ما شعر بهم خالد حتى إذا هو بقرية ^(٦) الجيش، وانطلق يركض نذيراً لقریش.

وسار النبي ﷺ حتى إذا كان بالثنية التي يهبط عليهم منها بركت القصواء ^(٧)، فقال الناس: حَلْ حَلْ، فألحَّت، فقالوا: خَلَّاتِ القصواء خَلَّاتِ القصواء، فقال النبي ﷺ: «ما خَلَّاتِ القصواء، وما ذاك لها بخُلُق، ولكن حبسها حابس الفيل»، ثم قال: «والذي نفس محمد بيده، لا يسألوني خطة يعظمون فيها حرمان الله إلا أعطيتموها» [ثم زجرها] ^(٨) فوثبت به، فعدل حتى نزل بأقصى الحديبية على ثَمَدٍ قليل الماء، يَتَبَرَّضُه النَّاسُ تَبَرُّضًا ^(٩)، فلم يلبث الناس أن نزحوه، فشكوا إلى رسول

(١) ليست في خ، ق، ك، وما أثبتناه من هـ.

(٢) في ق: «مأثورين»، وما أثبتناه من خ، ك، هـ.

(٣) ليست في ق، ك، هـ، وما أثبتناه من خ.

(٤) في هـ: «إنا»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.

(٥) ليست في ق، ك، هـ، وما أثبتناه من خ.

(٦) في هـ: «بفرة»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.

(٧) في خ: «راحلته»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٨) ليست في خ، ق، ك، هـ، وما أثبتناه من خ.

(٩) في خ: «يتبرضه الناس تبرضا»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

الله ﷺ [العطش]^(١)، فانتزع سهما من كنانته، ثم أمرهم أن يجعلوه فيه، قال : فوالله ما زال يجيش لهم بالرّى حتى صَدَرُوا عنه^(٢).

وفَزِعَت قريش لنزوله عليهم، فأحب رسول الله ﷺ أن يبعث إليهم رجلا من أصحابه، فدعا عمر بن الخطاب ليعثه إليهم، فقال : يا رسول الله، ليس لي بمكة أحد من بنى كعب يغضب لي إن أوديت، فأرسل عثمان بن عفان، فإن عشيرته بها، وإنه يُبَلِّغ ما أردت، فدعا رسول الله ﷺ عثمان بن عفان، فأرسله إلى قريش وقال : «أخبرهم أنا لم نأت لقتال، وإنما جئنا عُمَارًا، وادعهم إلى الإسلام»، وأمره أن يأتي رجالا بمكة مؤمنين، ونساء مؤمنات فيدخل عليهم، ويبشرهم بالفتح، ويخبرهم أن الله - تعالى - مظهر دينه بمكة، حتى لا يُسْتَخْفَى [فيها]^(٣) بالإيمان .

فانطلق عثمان، فمر على قريش بِبَلَدَح^(٤) فقالوا : أين [تريد]^(٥)؟ فقال : بعثني رسول الله ﷺ أدعوكم إلى الله، وإلى الإسلام، وأخبركم أنا لم نأت لقتال، وإنما جئنا عمارًا، فقالوا : قد سمعنا مقالتك^(٦)، فانفذ لحاجتك، وقام إليه أبان بن سعيد بن العاص، فرحب به، وأسرج فرسه، فحمل^(٧) عثمان على الفرس، وأردفه [أبان]^(٨) حتى جاء مكة .

(١) ليست في ق، ك، هـ، وما أثبتناه من خ .

(٢) البخارى في الشروط (٢٧٣١، ٢٧٣٢)، وأحمد (٤ / ٣٢٢، ٣٢٦)، والمصنف لعبد الرزاق (٩٧٢٠) .
وقرّة الجيش : غَبَرَتِه . وحَلَّ حَلَّ : كلمة تقال للناقة إذا تركت السير، يقال : حَلَّحْتُ فلانا : إذا أزعجته عن موضعه وأحَثَّ : أى تمادت . وحلّات : أى حَزَنَت . والحُلُقُ : العادة . والثَّمَدُ : الماء القليل .
وقوله : «يَبْرَضُه الناس بَرَضًا» : أى يأخذونه قليلا قليلا، والبرض : الشىء القليل . ويجيش : أى يفور ويرتفع . وصَدَرُوا : أى رجعوا .

(٣) ليست في ق، ك، هـ، وما أثبتناه من خ .

(٤) بَلَدَح : وادٍ قَبْل مكة، وقيل : جبل بطريق جُدَّة .

(٥) ليست في خ، ك، هـ، وما أثبتناه من ق .

(٦) في هـ : «ما تقول»، وما أثبتناه من خ، ق، ك .

(٧) في هـ : «فحمل»، وما أثبتناه من خ، ق، ك .

(٨) ليست في ق، ك، هـ، وما أثبتناه من خ .

وقال المسلمون قبل أن يرجع عثمان : خَلَّصْ عثمان بن عفان من بيننا إلى البيت ، وطاف به ، فقال رسول الله ﷺ : « ما أظنه طاف بالبيت ، ونحن محصورون » قالوا : وما يمنعه يا رسول الله ، وقد خلص ؟ قال : « ذاك ظني به ، ألا يطوف بالكعبة حتى نطوف معاً » .

واختلط المسلمون بالمشركين في أمر الصلح ، فرمى رجل من أحد الفريقين رجلاً من الفريق الآخر ، وكانت معركة ^(١) ، وتراموا بالنبل ، والحجارة ، وصاح الفريقان كلاهما ، وارتهن كل واحد من الفريقين بمن فيهم ، وبلغ رسول الله ﷺ أن عثمان قد قتل ، فدعا إلى البيعة ، فثار ^(٢) المسلمون إلى رسول الله ﷺ ، وهو تحت الشجرة ، فبايعوه على ألا يفروا ، فأخذ رسول الله ﷺ بيد نفسه وقال : « هذه عن عثمان » ^(٣) .

ولما تمت البيعة رجع عثمان ، فقال المسلمون له : اشتفيت يا أبا عبد الله من الطواف بالبيت ، فقال : بئس ما ظننتم بى ، والذي نفسى بيده ، لو مكثت بها سنة ، ورسول الله ﷺ مقيم بالحديبية ما طفت بها حتى يطوف رسول الله ﷺ ، ولقد دعتنى قريش إلى الطواف بالبيت فأبيت ، فقال المسلمون : [رسول الله ﷺ] ^(٤) كان أعلمنا بالله ، وأحسننا ظناً ، وكان عمر آخذاً بيد رسول الله ﷺ للبيعة وهو تحت الشجرة ، فبايعه المسلمون كلهم ، إلا الجَدَّ بن قَيْسٍ ^(٥) .

وكان مَعْقِل بن يسار آخذاً بغصنها يرفعه عن رسول الله ﷺ ^(٦) .

(١) في ق : « معاركة » ، وما أثبتناه من خ ، ك ، هـ .

(٢) في هـ : « فتبادر » ، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك .

(٣) البخارى فى فضائل الصحابة (٣٦٩٨) ، وأحمد (١ / ٥٩) .

(٤) ليست فى ق ، ك ، هـ ، وما أثبتناه من خ .

(٥) مسلم فى الإمارة (١٨٥٦ / ٦٩) .

(٦) مسلم فى الإمارة (١٨٥٨ / ٧٦) .

وكان أول من بايعه أبو سنان الأسدي .

وبايعه سلمة بن الأكوع ثلاث مرات : في أول الناس ووسطهم، وآخرهم ^(١).

فبينما ^(٢)هم كذلك إذ جاء بُدَيْل بن وَرْقَاء الخزاعي في نفر من خزاعة، وكانوا عِيَّة ^(٣) تُصَحِّح رسول الله ﷺ من أهل تِهَامَة، فقال : [إني] ^(٤)تركت كعب بن لُؤَيٍّ، وعامر بن لُؤَيٍّ قد نزلوا أعداد مياه الحديبية، معهم العُوذُ الْمُطَافِيل ^(٥)، وهم مقاتلون، وصادوك عن البيت .

قال رسول الله ﷺ : «إنا لم نجئ لقتال أحد، ولكن جئنا معتمرين، وإن قريشا نهكتهم الحرب، وأضرت بهم، فإن شأؤوا ماددتهم، ويخلوا بيني، وبين الناس، وإن شأؤوا أن يدخلوا فيما دخل فيه الناس فعلوا، وإلا فقد جُحُوا ^(٦)، وإن [هم] ^(٧)أبوا إلا القتال، فوالذي نفسي بيده، لأقاتلنهم على أمرى هذا حتى تنفرد سَالِفَتِي ^(٨)، أو لينفذن الله أمره» .

قال بديل : سأبلغهم ما تقول، فانطلق حتى أتى قريشا، فقال : إني قد جئكم من عند هذا الرجل، وسمعتة يقول قولاً، فإن شئتم عرضته عليكم، فقال ^(٩)سفهاؤهم : لا حاجة لنا أن تحدثنا عنه بشيء، وقال ذوو الرأي منهم : [هات] ^(١٠)

(١) مسلم في الجهاد والسير (١٨٠٧ / ١٣٢) .

(٢) في هـ : «فبينما»، وما أثبتناه من خ، ق، ك .

(٣) العِيَّة من الرجل : موضع يبرّه .

(٤) ليست في ق، ك، هـ، وما أثبتناه من خ .

(٥) العُوذُ الْمُطَافِيل : العوذ في الأصل : يطلق على الناقة إذا وضعت . والمطافيل جمع المُطَفِل، وهي الناقة الغربية العهد بالتاج معها طفلها، يريد : أنهم جاؤوا بالنساء والصبيان، أي : بأجمعهم كبارهم وصغارهم .

(٦) جُحُوا : أي : استراحوا وكثروا .

(٧) ليست في ق، ك، هـ، وما أثبتناه من خ .

(٨) السَّالِفَة : صفحة العنق . وكُنِيَ بانفرادها عن الموت؛ لأنها لا تنفرد عما يليها إلا بالموت .

(٩) في خ : «فقلت»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ .

(١٠) ليست في ق، ك، هـ، وما أثبتناه من خ .

ما سمعته، قال : سمعته يقول : كذا وكذا، فحدثهم بما قال النبي ﷺ، فقال عروة بن مسعود الثقفي : إن هذا قد عرض عليكم خطة رُشِد، فاقبلوها، ودعوني آتة، فقالوا: آتته .

فأتاه، فجعل يكلمه، فقال له النبي ﷺ، نحوا من قوله لبديل، فقال له عروة عند ذلك : أى محمد، أ رأيت لو استأصلت قومك^(١)، هل سمعتَ بأحد من العرب اجتاح أهله قبلك؟ وإن تكن الأخرى، فوالله إنى لأرى وجوها، وأرى أويأشاً^(٢) من الناس خليفاً^(٣) أن يفروا، وَيَدْعُوكَ، فقال له أبو بكر : امصص بظُر اللات، أنحن نفر عنه وندعه! قال : من ذا؟ قالوا : أبو بكر، قال : أما والذي نفسى بيده، لو لا يَدٌ^(٤) كانت لك عندى لم أَجْزِكَ بها لأجبتك .

وجعل يكلم النبي ﷺ، وكلما كلمه أخذ بلحيته، والمغيرة بن شعبة عند رأس رسول الله ﷺ ومعه السيف، وعليه المغفر، فكلما أهوى عروة إلى لحية رسول الله ﷺ ضرب يده بنعل السيف وقال : أخّر يدك عن لحية رسول الله ﷺ، فرفع عروة رأسه، وقال : من ذا؟ قالوا : المغيرة بن شعبة، فقال : أى عُذْرُ، أو لَسْتُ أَسْعَى في عُذْرَتِكَ؟ وكان المغيرة صحب قوما في الجاهلية، فقتلهم، وأخذ أموالهم، ثم جاء فأسلم، فقال النبي ﷺ : «أما الإسلام فأقبل، وأما المال فَلَسْتُ منه في شيء» .

ثم إن عروة جعل يرمق أصحاب النبي ﷺ^(٥) [بعينه]^(٦) فوالله ما تَنَحَّمَ^(٧) النبي ﷺ نُخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فذلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم بأمر

(١) في ق : «بقومك» ، وما أثبتناه من خ ، ك ، هـ .

(٢) في هـ : «أوشاباً» وما أثبتناه من خ ، ق ، ك . والأويأش : الخليط من الناس .

(٣) في خ : «خليفاً» وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ . وخليفاً أى : حريّاً بهم .

(٤) اليَدُ : النعمة أو الإحسان .

(٥) في خ : «النبي» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

(٦) ليست في ق ، ك ، هـ ، وما أثبتناه من خ .

(٧) في هـ : «انتخم» ، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك .

ابتدروا^(١)، وإذا توضعاً كادوا يقتتلون على وضوءه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون النظر إليه تعظيماً له .

فرجع عروة إلى أصحابه فقال : أى قوم، والله لقد وفدت على الملوك، على كسرى، وقيصر، والنجاشي، والله ما رأيت ملكاً يعظمه أصحابه ما يعظم أصحاب محمد ومحمد، والله إن تنخم نخامة إلا وقعت في كف رجل منهم فذلك بها وجهه، وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره، وإذا توضعاً كادوا يقتتلون على وضوءه، وإذا تكلم خفضوا أصواتهم عنده، وما يحِدُّون النظر إليه تعظيماً له، وقد عرض عليكم خطة رُشد، فاقبلوها .

فقال رجل من بنى كنانة : دعوني آته، فقالوا : آته، فلما أشرف على النبي ﷺ، وأصحابه، قال رسول الله ﷺ : «هذا فلان، وهو من قوم يعظمون البُدنَ، فابعثوها له»، فبعثوها له، فبعثت له، واستقبله القوم يَلْبُون، فلما رأى ذلك قال : سبحان الله! ما ينبغي لهؤلاء أن يصدوا عن البيت، فرجع إلى أصحابه، فقال : رأيت البُدنَ قد قُلت، وأُشعرت، وما أرى أن يصدوا عن البيت .

فقام مكرز بن حفص، فقال : دعوني آته، فقالوا : آته، فلما أشرف عليهم قال النبي ﷺ : «هذا مكرز بن حفص، وهو رجل فاجر»، فجعل يكلم النبي ﷺ، فبينما هو يكلمه إذ جاءه^(٢) سهيل^(٣) بن عمرو، فقال النبي ﷺ : «قد سهَّل لكم من أمركم» فقال : هات، اكتب بيننا، وبينكم كتاباً، فدعا الكاتب، فقال : «اكتب بسم الله الرحمن الرحيم»، فقال سهيل : أما الرحمن فوالله ما أدري ما هو، ولكن اكتب : باسمك اللهم كما كنت تكتب، فقال المسلمون : والله لا نكتبها إلا بسم الله الرحمن

(١) في خ : «وإذا أمرهم ابتدروا أمره»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ .

(٢) في هـ : «جاء»، وما أثبتناه من خ، ق، ك .

(٣) في ق : «سهيل»، وما أثبتناه من خ، ك، هـ .

الرحيم، فقال النبي ﷺ: «اكتب باسمك اللهم» .

ثم قال : «اكتب : هذا ما قاضى عليه محمد رسول الله»، فقال سهيل : فوالله لو كنا نعلم أنك رسول الله ما صددناك عن البيت، ولا قاتلناك، ولكن اكتب : محمد ابن عبد الله، فقال رسول الله ﷺ: «إني رسول الله، وإن كذبتُموني، اكتب : محمد بن عبد الله»، فقال النبي ﷺ: «على أن تُخلُّوا بيننا وبين البيت، فنطوف به» .

فقال سهيل ^(١): والله لا تتحدث العرب أنا أخذنا صَغَظَةً، ولكن ذلك من العام المقبل، فكتب، فقال سهيل ^(٢): على أن لا يأتيك منا رجل، وإن كان على دينك إلا رددته إلينا، فقال المسلمون : سبحان الله كيف يرد إلى المشركين، وقد جاء مسلماً .

فبينما هم كذلك، إذ جاء أبو جندل بن سهيل [بن عمرو] ^(٣)، قد خرج من أسفل مكة يَرْسُفُ في قيوده حتى رمى بنفسه بين أظهر المسلمين، فقال سهيل : هذا يا محمد أول ما أقاضيك عليه أن ترده، فقال النبي ﷺ: «إنما لم نقض الكتاب بعد»، فقال : فوالله إذا لا أصالحك على شيء أبداً، فقال النبي ﷺ: «فأجزه لي» قال : ما أنا بمجيزه لك، قال : «بلى فافعل» قال : ما أنا بفاعل، قال مكرز : بلى قد أجزناه، فقال أبو جندل : يا معشر المسلمين، أُرَدُّ إلى المشركين وقد جئت مسلماً ألا ترون ما لقيت، وكان [قد] ^(٤) عُدِّبَ في الله عذاباً شديداً .

قال عمر بن الخطاب : والله ما شككت منذ أسلمت إلا يومئذ، فأُتيت النبي ﷺ، فقلت : يا رسول الله، ألسنت نبى الله؟ قال : «بلى»، قلت : ألسنا على الحق وعدونا على الباطل؟ قال : «بلى»، فقلت : علام نعطي الدَّيْنَةَ في ديننا [إذا] ^(٥)، ونرجع ^(٦) ولما يحكم الله بيننا وبين أعدائنا؟ فقال : «إني رسول الله، وهو ناصرى

(١) في ق: «سهل»، وما أثبتناه من خ، ك، هـ.

(٣) ليست في خ، ق، ك، وما أثبتناه من هـ .

(٥،٤) ليست في ق، ك، هـ، وما أثبتناه من خ .

(٦) في ق: «ولا نرجع»، وما أثبتناه من خ، ك، هـ.

ولست أعصيه» قلت : أو لست كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت ونطوف [به] ^(١)؟ قال : «بلى، فأخبرتك أنك تأتية العام؟» قلت : لا قال : «فإنك آتية وتطوف ^(٢) به» .

قال : فأتيت أبا بكر، فقلت له كما قلت لرسول الله ﷺ، ورد على أبو بكر كما رد على رسول الله ﷺ سواء، وزاد : فاستمسك بعرزته ^(٣) حتى تموت، فوالله إنه لعلى الحق، قال عمر : فعملت لذلك أعمالا ^(٤) .

فلما فرغ من قضية الكتاب قال رسول الله ﷺ : «قوموا فانحروا، ثم احلقوا» قال : فوالله ما قام منهم رجل واحد حتى قال ثلاث ^(٥) مرات، فلما لم يقيم منهم أحد قام، فدخل على أم سلمة فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سلمة : يا رسول الله، أتحب ذلك؟ أخرج ثم لا تكلم أحدا منهم كلمة حتى تنحر بدنك، وتدعو حالقك، فيحلق ^(٦) .

فقام فخرج فلم يكلم أحدا منهم حتى فعل ذلك : نحر بدنه، ودعا حالقه، فحلقه، فلما رأى الناس ذلك قاموا فانحروا، وجعل بعضهم يحلق بعضا حتى كاد بعضهم يقتل [بعضا] ^(٧) غما .

ثم جاءه نسوة مؤمنات، فأنزل الله عز وجل : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا جَاءَكُمْ الْمُؤْمِنَاتُ مُهَاجِرَاتٍ فَامْتَحِنُوهُنَّ﴾ حتى بلغ : ﴿بَعْضُهُنَّ الْكَافِرَاتُ﴾ [الممتحنة : ١٠] ،

(١) ليست في ق ، ك ، هـ ، وما أثبتناه من خ .

(٢) في خ : «مطوف» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

(٣) فاستمسك بعرزته : أى : أتبع قوله وفعله، وأمسكه ولا تخالفه، فاستعار له العرزة، كالذى يمسك بركاب الراكب ويسير بسيرة .

(٤) أى : عملت أعمالا صالحة، من الصدقة والصيام والعق وغير ذلك، تكفيرا عما كان من التوقف عن الامتثال ابتداء، وخافة كلامى الذى تكلمت به يومئذ .

(٥) في هـ : «ثلاثة» ، وما أثبتناه من خ ، ق ، ك .

(٦) في خ : «فيحلقك» ، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

(٧) ليست في ق ، ك ، هـ ، وما أثبتناه من خ .

فطلق عمر يومئذ امرأتين كانتا له في الشرك، فتزوج إحداهما معاوية، والأخرى صفوان بن أمية .

ثم رجع إلى المدينة، وفي مرجعه أنزل الله عليه : ﴿ إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُبِينًا ^(١) لِيَغْفِرَ لَكَ اللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَيَهْدِيكَ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا ^(٢) وَيُضَرِّكَ اللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ^(٣) ﴾ [الفتح]، فقال عمر : أو فتح هو يا رسول الله؟ قال : «نعم»، فقال الصحابة : هنيئًا لك يا رسول الله، فما لنا؟ فأنزل الله عز وجل : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيْمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ^(٤) ﴾ [الفتح] .

ولما رجع إلى المدينة جاءه أبو بصير رجل من قريش مسلماً، فأرسلوا في طلبه رجلين وقالوا : العهد الذي جعلت لنا، فدفعه إلى الرجلين، فخرجا به حتى بلغا ذا الحليفة، فنزلوا يأكلون من تمر لهم، فقال أبو بصير لأحد الرجلين : والله إنى لأرى سيفك هذا جيداً فاستلته الآخر، فقال : أجل، والله إنه لجيد لقد جربت به، ثم جربت، فقال أبو بصير : أرنى أنظر إليه، فأمكنه منه، فضربه به حتى برد ^(١)، وفر الآخر يعدو حتى بلغ المدينة، فدخل المسجد .

فقال رسول الله ﷺ حين رآه : «لقد رأى هذا دُعْرًا»، فلما انتهى إلى رسول الله ﷺ قال : قُتِلَ والله صاحبي، وإنى لمقتول، فجاء أبو بصير فقال : يا نبي الله، قد والله أوفى الله ذمتك، وقد رددتني إليهم، فأنجاني الله منهم، فقال النبي ﷺ : «وَيْلَ أُمَّه مِسْعَرٍ حَرْبٍ ^(٢)»، لو كان له أحد»، فلما سمع ذلك عرف أنه سيرده إليهم، فخرج

(١) برد : مات .

(٢) الويل هنا بمعنى التعجب، فهو تعجب من شجاعته وجراته وإقدامه . ومِسْعَرٌ حَرْبٍ : يقال : سَعَرَتِ النار والحرب إذا أوقدتها، والمِسْعَرُ : ما تحرك به النار من آله الحديد . يصفه ﷺ بالمبالغة في الحرب والنجدة .

حتى أتى سيف البحر^(١).

وينقلت^(٢) منهم أبو جندل بن سهيل، فلحق بأبى بصير، فلا يخرج من قريش رجل قد أسلم إلا لحق بأبى بصير، حتى اجتمعت منهم عصابة، فوالله لا يسمعون بعير لقريش خرجت إلى الشام إلا اعترضوها^(٣) فقتلوهم^(٤) وأخذوا أموالهم، فأرسلت^(٥) قريش إلى النبي ﷺ تناشده [الله]^(٦) والرحم لما أرسل إليهم، فمن أتاه منهم فهو آمن، فأنزل الله عز وجل: ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنْكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُمْ بِطَرْيِقٍ مِّنْ بَعْدِ أَنْ أَرْغَبْتُمْ فِيهِمْ﴾ [الفتح: ٢٤] حتى بلغ: ﴿حِمَاةَ الْجَاهِلِيَّةِ﴾ [الفتح: ٢٦] وحيثهم أنهم لم يقرأوا [أنه نبي الله، ولم يقرأوا]^(٧) بيسم الله الرحمن الرحيم، وحالوا بينهم وبين البيت^(٨).

قلت: في الصحيح: أن النبي ﷺ توضأ، ومَجَّ في بئر الحديبية من فمه، فجاشت بالماء. كذلك قال البراء بن عازب، وسلمة بن الأكوع في الصحيحين^(٩).

وقال عروة عن مروان بن الحكم، والمسور بن مخرمة: أنه غرز فيها سهماً من كنانته، وهو في الصحيحين أيضاً^(١٠).

وفي مغازي أبي الأسود، عن عروة: توضأ في الدلو، ومضمض فاه، ثم مَجَّ فيه، وأمر أن يصب في البئر، ونزع سهماً من كنانته، وألقاه في البئر، ودعا الله تعالى،

(١) سيف البحر: ساحله.

(٢) في هـ: «تفلت»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.

(٣) في خ: «اعترضوا لها»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ.

(٤) في ق: «فقتلوهم»، وما أثبتناه من خ، ك، هـ.

(٥) في هـ: «فأرسل»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.

(٦) ليست في ق، ك، هـ، وما أثبتناه من خ.

(٨) البخاري في الشروط (٢٧٣١، ٢٧٣٢)، وأبو داود في الجهاد (٢٧٦٥)، وأحمد (٣٢٢/٤، ٣٢٣/٤).

(٩) البخاري في المغازي (٤١٥١)، ومسلم في الجهاد والسير (١٨٠٧/١٣٢)، وأحمد (٤٨/٤).

(١٠) البخاري في الشروط (٢٧٣١، ٢٧٣٢)، وأحمد (٣٢٩/٤)، ولم نقف عليه في صحيح مسلم.

فغارت بالماء حتى جعلوا يغترفون بأيديهم منها، وهم جلوس على شفتها^(١)، فجمع بين الأمرين، وهذا أشبه، والله أعلم .

وفي صحيح البخارى : عن جابر قال : عطش الناس يوم الحديبية، ورسول الله ﷺ بين يديه رَكْوَةٌ يتوضأ منها، إذ جَهَّشَ الناس نحوه، فقال : «ما لكم؟» قالوا : يا رسول الله ما عندنا ماء نشرب، ولا ما نتوضأ إلا ما بين يديك، فوضع يده في الركوة، فجعل الماء يفور من بين أصابعه أمثال العيون، فشربوا، وتوضؤوا، وكانوا خمس عشرة^(٢) مائة^(٣) . وهذه غير قصة البئر .

وفي هذه الغزوة أصابهم ليلة مطر، فلما صلى النبي ﷺ الصبح قال : «أتدرون ماذا^(٤) قال ربكم الليلة؟» قالوا : الله ورسوله أعلم، قال : «أصبح من عبادة مؤمن [بى]^(٥) وكافر، فأما من قال : مُطِرْنَا بفضل^(٦) الله، ورحمته فذلك مؤمن بى كافر بالكوكب، وأما من قال : مطرنا بنوء كذا، وكذا، فذلك^(٧) كافر بى مؤمن بالكوكب»^(٨) .

فصل

وجرى الصلح بين المسلمين وأهل مكة على وضع الحرب عشر سنين، وأن

(١) في خ : «شقها»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ .

(٢) في ق : «خمس عشر»، وما أثبتناه من خ، ك، هـ .

(٣) البخارى في المغازى (٤١٥٢) . والرَّكْوَةُ : إناء صغير من جلد يُشرب فيه الماء . الجَهَّشَ : أن يفرع الإنسان إلى الإنسان ويلجأ إليه، وهو مع ذلك يريد البكاء .

(٤) في خ : «ما»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ .

(٥) ليست في خ، ق، ك، وما أثبتناه من هـ .

(٦) في ق : «بإذن»، وما أثبتناه من خ، ك، هـ .

(٧) في ق : «فذاك»، وما أثبتناه من خ، ك، هـ .

(٨) البخارى في المغازى (٤١٤٧)، ومسلم في الإيمان (١٢٥/٧١)، وأبو داود في الطب (٣٩٠٦)، والنسائى في الاستسقاء (١٥٢٥)، ومالك في الموطأ في الاستسقاء (١٩٢/١)، وأحمد (٤/١١٧) .

يأمن الناس بعضهم من بعض، وأن يرجع [عنهم]^(١) عامه ذلك، حتى إذا كان العام المقبل قَدِمَهَا، وَحَلَّوْا بَيْنَهُ وَبَيْنَ مَكَّةَ، فَأَقَامَ بِهَا ثَلَاثًا، وَأَنْ لَا يَدْخُلَهَا إِلَّا بِسِلَاحِ الرَّكَّابِ، وَالسُّيُوفِ فِي الْقُرْبِ، وَأَنْ مِنْ أَتَانَا مِنْ أَصْحَابِكَ لَمْ نَرُدَّهُ عَلَيْكَ وَمَنْ أَتَاكَ مِنْ أَصْحَابِنَا رَدَدْتَهُ عَلَيْنَا، وَأَنْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ عَيْبَةٌ مَكْفُوفَةٌ^(٢)، وَأَنْهُ لَا إِسْلَاحَ، وَلَا إِغْلَالَ، فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَعْطِيهِمْ هَذَا؟ فَقَالَ : «مَنْ أَتَاهُمْ مِنْهُ فَأَبْعَدَهُ»^(٣) اللَّهُ وَمَنْ أَتَانَا مِنْهُمْ فَرَدَدْنَاهُ عَلَيْهِمْ جَعَلَ اللَّهُ لَهُ فَرْجًا وَمَخْرَجًا»^(٤).

وفي قصة الحديدية أنزل الله - عز وجل - فدية الأذى لمن حلق رأسه بالصيام، أو الصدقة، أو النسك في شأن كعب بن عُجْرَةَ .

وفيها : دعا رسول الله ﷺ للمحلقين بالمغفرة ثلاثًا، وللمقصرين مرة .

وفيها : نحروا البَدَنَةَ عن سبعة، والبقرة عن سبعة .

وفيها : أهدى رسول الله ﷺ في جملة هديه جملاً كان لأبى جهل، كان في أنفه بُرَّةٌ^(٥) من فضة؛ ليغيظ به المشركين .

وفيها : أنزلت سورة الفتح، ودخلت حُزَاعَةُ في عقد رسول الله ﷺ وعهده، ودخلت بنو بكر في عقد قريش وعهدهم، وكان في الشرط : أن من شاء أن يدخل في عقده ﷺ دخل، ومن شاء أن يدخل في عقد قريش دخل .

ولما رجع إلى المدينة جاءه نساء مؤمنات منهن : أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط، فجاء أهلها يسألونها رسول الله ﷺ بالشرط الذى كان بينهم، فلم يرجعها

(١) ليست في ق، ك، هـ، وما أثبتناه من خ .

(٢) عَيْبَةٌ مَكْفُوفَةٌ : أَى صَدْرٌ نَقَى مِنَ الْغِلِّ وَالْخَدَاعِ، مَطْوًى عَلَى الْوَفَاءِ بِالصِّلَحِ . وَالْمَكْفُوفَةُ : الْمَشْرُجَةُ الْمَشْدُودَةُ .

(٣) في هـ : «بعده»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.

(٤) أبو داود في الجهاد (٢٧٦٦)، وأحد (٤ / ٣٢٥) والإسلاال : السرقة . والإغلال : الخيانة .

(٥) البُرَّةُ : حَلْقَةٌ تَجْعَلُ فِي لَحْمِ الْأَنْفِ .

إليهم، ونهاه الله عز وجل عن ذلك، فقليل : هذا نسخ للشرط في النساء، وقيل : تخصيص للسنة بالقرآن، وهو عزيز جداً، وقيل : لم يقع الشرط إلا على الرجال خاصة، وأراد المشركون أن يعمموه^(١) في الصنفين، فأبى الله تعالى ذلك .

(١) في ق : «يعموه» ، وما أثبتناه من خ، ك، هـ.

فصل

في بعض ما في قصة الحديبية من الفوائد الفقهية

فمنها : اعتبار النبي ﷺ في أشهر الحج، فإنه خرج إليها في ذى القعدة .

ومنها : أن الإحرام [بالعمرة]^(١) من الميقات أفضل، كما أن الإحرام بالحج كذلك، فإنه أحرم بهما من ذى الحليفة، وبينها وبين المدينة ميل، أو نحوه، وأما حديث «من أحرم بعمرة من بيت المقدس عُفِرَ له ما تقدم من ذنبه، وما تأخر»، وفي لفظ : «كانت كفارة لما قبلها من الذنوب»^(٢) فحديث لا يثبت، وقد اضطرب فيه إسنادا ومتنا اضطرابا شديدا .

ومنها: أن [سوق]^(٣) الهدى مسنون في العمرة المفردة، كما هو مسنون في القرآن.

ومنها : أن إشعار الهدى سنة لا مثلة منهي عنها .

ومنها : استحباب مغايظة أعداء الله، فإن النبي ﷺ أهدى في جملة هديه جملا لأبى جهل في أنفه بُرَّةً من فضة يغيط به المشركين، وقد قال تعالى في صفة رسول الله ﷺ وأصحابه : ﴿ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْئَهُ فَآزَرَهُ، فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيُغَيِّظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾ [الفتح : ٢٩]، وقال عز وجل : ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ

(١) ليست في ق، ك، هـ، وما أثبتناه من خ.

(٢) أبو داود في المناسك (١٧٤١)، وابن ماجه في المناسك (٣٠٠١، ٣٠٠٢)، وابن حبان في الموارد (١٠٢١)، وضعفه الألباني .

(٣) ليست في ق، ك، هـ، وما أثبتناه من خ.

عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ [التوبة] .

ومنها : أن أمير الجيش ينبغي له أن يبعث العيون أمامه نحو العدو .
ومنها : أن الاستعانة بالمشرك المأمون في الجهاد جائزة عند الحاجة؛ لأن عَيْنَهُ الخِزَاعِيَّ كَانَ كَافِرًا إِذَا ذَاكَ، وفيه من المصلحة أنه أقرب إلى اختلاطه بالعدو، وأخذه أخبارهم .

ومنها : استحباب مشورة الإمام رعيته، وجيشه استخراجا لوجه الرأي، واستطابة لنفوسهم، وأمنا لِعَتَبِهِمْ، وتعرفا لمصلحة يختص ^(١) [بعلمها] ^(٢) بعضهم دون بعض، وامثالا لأمر الرب لقوله ^(٣) تعالى : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ﴾ [آل عمران : ١٥٩]، وقد مدح سبحانه وتعالى عباده بقوله : ﴿وَأْمُرْهُمْ شُورَىٰ يَنْتَهُم﴾ [الشورى : ٣٨] .

ومنها : جواز سبي ذراري المشركين إذا انفردوا عن رجالهم قبل مقاتلة الرجال .
ومنها : رد الكلام الباطل، ولو نسب إلى غير مُكَلَّف، فإنهم لما قالوا : خلأت القُصُوءُ يعني : حَرَكْتُ، وَأَلَحْتُ، فلم تَسِرْ، والخلاء في الإبل بكسر الخاء والمد نظير الحران في الخيل ^(٤)، فلما نسبوا إلى الناقة ما ليس من خلقها، وطبعها ^(٥) رده عليهم، وقال : «ما خلأت، وما ذاك لها بخلق»، ثم أخبر ﷺ عن سبب بروكها، وأن الذي حبس الفيل عن مكة حبسها للحكمة العظيمة التي ظهرت بسبب حبسها، وما جرى بعده .

(١) في ق : «تختص»، وما أثبتناه من خ، ك، هـ .
(٢) ليست في خ، ق، ك، وما أثبتناه من هـ .
(٣) في خ : «لأمر الرب في قوله تعالى»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ .
(٤) في هـ : «الحمل»، وما أثبتناه من خ، ق، ك .
(٥) في خ : «طباعها»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ .

ومنها : أن تسمية ما يلبسه الرجل من مراكبه ونحوها سنة .

ومنها : جواز الحلف بل استحبابه على الخبر [الدينى] ^(١) الذى يريد تأكيده، وقد حفظ عن النبى ﷺ الحلف فى أكثر من ثمانين موضعاً، وأمره الله بالحلف على تصديق ما أخبر به فى ثلاثة ^(٢) مواضع من القرآن : فى «سورة يونس : ٥٣» و«سبأ : ٣» و«التغابن : ٧» .

ومنها : أن المشركين، وأهل البدع، والفجور، والبغاة، والظلمة، إذا طلبوا أمراً يعظمون فيه حرمة من حرمات الله تعالى أجيبوا إليه، وأعطوه ^(٣) وأعينوا عليه، وإن منعوا غيره، فيعاونون على ما فيه تعظيم حرمات الله تعالى، لا على كفرهم، وبغيهم، ويمنعون مما ^(٤) سوى ذلك، وكل من التمس المعاونة على [ذلك] ^(٥) محبوب لله ^(٦) تعالى مرضى له، أجيب إلى ذلك كائناً من كان ما لم يترتب على إعانتة على ذلك المحبوب مبغوض لله أعظم منه .

وهذا من أدق المواضع، وأصعبها وأشقها على النفوس، ولذلك ضاق عنه من الصحابة من ضاق، وقال عمر رضي الله عنه ما قال حتى عمل له أعمالاً بعده، والصدىق تلقاه بالرضا، والتسليم حتى كان قلبه فيه على قلب رسول الله ﷺ، وأجاب عمر عما سأل عنه من ذلك بعين جواب رسول الله ﷺ، وذلك يدل على أن الصدىق رضي الله عنه أفضل الصحابة، وأكملهم، وأعرفهم بالله تعالى ورسوله ﷺ وأعلمهم بدينه، وأقومهم بمحابه، وأشدهم موافقة له، ولذلك لم يسأل عمر عما عرض له إلا رسول الله ﷺ،

(١) ليست فى ق، ك، وما أثبتناه من خ، هـ .

(٢) فى خ، هـ : «ثلاث»، وما أثبتناه من ق، ك .

(٣) فى خ : «أعطوا»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ .

(٤) فى هـ : «من كل ما»، وما أثبتناه من خ، ق، ك .

(٥) ليست فى خ، ق، ك، وما أثبتناه من هـ .

(٦) فى خ : «على محبوب الله»، وما أثبتناه من ق، ك، هـ .

وصديقه خاصة دون [سائر]^(١) أصحابه .

ومنها : أن النبي ﷺ عدل ذات اليمين إلى الحُدَيْيَّة، قال الشافعي : وبعضها من الحل وبعضها من الحرم .

وروى الإمام أحمد في هذه القصة : أن النبي ﷺ كان يصلى في الحرم، وهو مضطرب في الحل^(٢)، وفي هذا كالدلالة على أن مضاعفة الصلاة بمكة تتعلق بجميع الحرم لا يختص بها المسجد^(٣) الذى هو مكان الطواف، وأن قوله : «صلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة صلاة في مسجدى»^(٤) كقوله تعالى : ﴿فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ﴾ [التوبة : ٢٨]، وقوله تعالى : ﴿سُبْحَنَ الَّذِى أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ، لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَا﴾ [الإسراء : ١] وكان الإسراء من بيت أم هانئ .

ومنها : أن من نزل قريبا من مكة، فإنه ينبغى له أن ينزل في الحل، ويصلى في الحرم، وكذلك كان ابن عمر يصنع .

ومنها : جواز ابتداء الإمام بطلب صلح العدو إذا رأى المصلحة للمسلمين فيه، ولا يتوقف ذلك على أن يكون ابتداء الطلب منهم .

وفي قيام المغيرة على رأس رسول الله ﷺ بالسيف، ولم تكن عادته أن يقام على رأسه وهو قاعد، سنة يقتدى بها عند قدوم رسل العدو، من إظهار العز والفخر، وتعظيم الإمام، وطاعته، ووقايته بالنفوس، وهذه هى العادة الجارية عند قدوم رسل المؤمنين على الكافرين، وقدوم رسل الكافرين على المؤمنين^(٥)، وليس هذا من

(١) ليست في ق، ك، هـ، وما أثبتناه من خ .

(٢) أحمد (٤ / ٣٢٣ - ٣٢٦)، والحديث صحيح وهو في البخارى في الشروط (٢٧٣١، ٢٧٣٢) .

(٣) في ق : «بالمسجد» ، وما أثبتناه من خ، ك، هـ .

(٤) بلفظه رواه أحمد (٤ / ٥)، وقال الهيثمى في المجمع (٤ / ٧، ٨) : «رجاله رجال الصحيح» .

(٥) في ق : «المسلمين»، وما أثبتناه من خ، ك، هـ .

النوع الذي ذمه النبي ﷺ بقوله: «من أحب أن يتمثل له الرجال قياماً، فليتبوأ مقعده من النار»^(١)، كما أن الخيلاء والفخر في الحرب ليسا من النوع المذموم في غيره، وفي بعث البُدن في وجه الرسول الآخر دليل على استحباب إظهار شعائر الإسلام لرسل الكفار.

وفي قول رسول الله ﷺ للمغيرة: «أما الإسلام فأقبل، وأما المال فلست منه في شيء» دليل على أن مال المشرك المعاهد معصوم، وأنه لا يملك بل يرد عليه، فإن المغيرة كان قد صحبهم على الأمان ثم غدر بهم، وأخذ أموالهم، فلم يتعرض النبي ﷺ لأموالهم، ولا ذب عنها، ولا ضمنها لهم؛ لأن ذلك كان قبل إسلام المغيرة. وفي قول الصديق لعروة: امصص بظُر اللات، دليل على جواز التصريح باسم العورة إذا كان فيه مصلحة تقتضيها تلك الحال، كما أذن النبي ﷺ أن يصرح لمن ادعى دعوى الجاهلية بهن أبيه، ويقال له: اعضض أئير أهلك، ولا يكنى له، فلكل مقام مقال.

ومنها: احتمال قلة أدب رسول الكفار، وجهله، وجفوته، ولا يقابل على ذلك؛ لما فيه من المصلحة العامة، ولم يقابل النبي ﷺ عروة على أخذه بلحيته وقت خطابه، وإن كانت تلك عادة العرب، لكن الوقار والتعظيم خلاف ذلك.

وكذلك لم يقابل^(٢) رسول مسيلمة حين قالوا: نشهد أنه رسول الله، وقال: «لولا أن الرسل لا تقتل لقتلتكم»^(٣).

ومنها: طهارة النخامة سواء كانت من رأس، أو صدر.

(١) أبو داود في الأدب (٥٢٢٩)، والترمذي في الأدب (٢٧٥٥) وقال: «حسن»، وأحمد (٩١ / ٤)، وصححه الألباني.

(٢) في هـ: «يقاتل»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.

(٣) أبو داود في الجهاد (٢٧٦١)، وأحمد (٢ / ٣، ٤٨٧، ٤٨٨)، وصححه الألباني.

ومنها : طهارة الماء المستعمل .

ومنها : استحباب الفأل^(١) وأنه ليس من الطيرة المكروهة، لقوله لما جاء سُهِلَ :
«سَهِّلْ أَمْرَكُمْ» .

ومنها : أن المشهود عليه إذا عُرِفَ باسمه واسم أبيه، أغنى ذلك عن ذكر الجدة؛
لأن النبي ﷺ لم يزد على محمد بن عبد الله، وَقَنَّعَ من سهيل بذكر اسمه [واسم
أبيه]^(٢) خاصة، واشترط ذكر الجد لا أصل له، ولما اشترى العداء بن خالد منه ﷺ
الغلام فكتب له : هذا ما اشترى العداء بن خالد بن هُوَذَّة^(٣)، فذكر جده، فهو زيادة
بيان تدل على أنه جائز لا بأس به، ولا تدل على اشتراطه، ولما لم يكن في الشهرة
بحيث يكتفى باسمه واسم أبيه، ذكر جده، فيشترط ذكر الجد عند الاشتراك في
الاسم واسم الأب، وعند عدم الاشتراك الاكتفاء بذكر الاسم واسم الأب، والله
أعلم .

ومنها : أن مصالحه المشركون ببعض ما فيه ضيِّم على المسلمين جائزة للمصلحة
الراجحة، ودفع ما هو شر منه، ففيه دفع أعلى المفسدين باحتيال أدناهما .

ومنها : أن من حلف على فعل شيء، أو نذره، أو وعد غيره به، ولم يعين وقتاً لا
بلفظه ولا بنيته، لم يكن على الفور بل على التراخي .

ومنها : أن الحِلَاق نُسْك، وأنه أفضل من التقصير، وأنه نسك في العمرة كما هو
نسك في الحج، وأنه نسك في عمرة المحصور كما هو نسك في عمرة غيره .

(١) في خ : «التفأول»، وما أثبتناه من ق ، ك ، هـ .

(٢) ليست في ق ، ك ، هـ ، وما أثبتناه من خ .

(٣) البخاري في البيوع معلقاً عند حديث (٢٠٧٩)، وقال الحافظ ابن حجر في الفتح (٤ / ٣١٠) : «وقد وصل
الحديث الترمذي، والنسائي، وابن ماجه...»، والترمذي في البيوع (١٢١٦)، وقال : «حسن غريب»، وابن
ماجه في التجارات (٢٢٥١)، وحسنه الألباني .

ومنها : أن المَحْصَرَ ينحر هديه حيث أُحْصِرَ من الحل، أو الحرم، وأنه لا يجب عليه أن يواعد من ينحره في الحرم إذا لم يصل إليه، وأنه لم يصل إلى محله، بدليل قوله تعالى : ﴿وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحَلَّهُ﴾ [الفتح : ٢٥] .

ومنها : أن الموضع الذي نحر فيه الهدى كان من الحل لا من الحرم؛ لأن الحرم كله محل الهدى .

ومنها : أن المحصر لا يجب عليه القضاء؛ لأنه ﷺ أمرهم بالحل، والنحر، ولم يأمر أحدا منهم بالقضاء، والعمرة من العام القابل لم تكن واجبة، ولا قضاء عن عمرة الإحصار؛ فإنهم كانوا في عمرة الإحصار ألفاً وأربعمائة، وكانوا في عمرة القضية دون ذلك، وإنما سميت عمرة القضية والقضاء؛ لأنها العمرة التي قاضاهم عليها، فأضيفت العمرة إلى مصدر فعله .

ومنها : أن الأمر المطلق على الفور، وإلا لم يغضب لتأخيرهم الامتثال^(١) عن وقت الأمر، وقد اعتذر عن تأخيرهم الامتثال بأنهم كانوا يرجون النسخ، فأخروا متأولين لذلك، وهذا الاعتذار أولى أن يعتذر عنه، وهو باطل؛ فإنه ﷺ لو فهم منهم ذلك لم يشتد غضبه لتأخير أمره ويقول : «مالى لا أغضب وأنا أمر بالأمر فلا أتبع» وإنما كان تأخيرهم من السعى المغفور لا المشكور، وقد رضى الله عنهم، وغفر لهم، وأوجب لهم الجنة .

ومنها : أن الأصل مشاركة أمته له في الأحكام إلا ما خصه الدليل، ولذلك قالت له أم سلمة : اخرج ولا تكلم أحدا حتى تحلق رأسك [وتنحر هديك]^(٢) وعلمت أن الناس سيتابعونه .

فإن قيل : [فكيف]^(٣) فعلوا ذلك اقتداء بفعله، ولم يمثلوه^(٤) حين أمرهم به؟

(١) في ق : «الإمكان»، وما أثبتناه من خ، ك، هـ .

(٢) (٣، ٢) ليست في ق، ك، هـ، وما أثبتناه من خ .

(٤) في هـ : «يمثلوا»، وما أثبتناه من خ، ق، ك .

قيل : هذا هو السبب الذى لأجله ظن من ظن أنهم أخرجوا الامتثال طمعا فى النسخ، فلما فعل ﷺ ذلك، علموا حينئذ أنه حكم مستقر غير منسوخ، وقد تقدم فساد هذا الظن، ولكن لما تغيط عليهم، وخرج، ولم يكلمهم وأراهم أنه قد بادروا إلى امتثال ما أمر به، وأنه لم يؤخر كتأخيرهم، وأن اتباعهم له، وطاعتهم توجب اقتداءهم به، بادروا حينئذ إلى الاقتداء به، وامتنال أمره .

ومنها: جواز صلح الكفار على رد من جاء منهم إلى المسلمين، وألا يرد^(١) من ذهب من المسلمين إليهم هذا فى غير النساء، وأما النساء فلا يجوز اشتراط ردهن إلى الكفار، وهذا موضع النسخ خاصة فى هذا العقد بنص القرآن، فلا سبيل إلى دعوى النسخ فى غيره بغير موجب .

ومنها: أن خروج البضع من ملك الزوج مُتَقَوِّمٌ، ولذلك أوجب الله سبحانه رد المهر على من هاجرت امرأته، وحيل بينه، وبينها، [وعلى من ارتدت امرأته من المسلمين إذا استحق الكفار عليهم رد مهوور من هاجر إليهم]^(٢) من أزواجهم، وأخبر أن ذلك حكمه الذى حكم به بينهم، ثم لم ينسخه شىء، وفى إيجابه رد ما أعطى الأزواج من ذلك، دليل على تقومه بالمسمى لا بمهر المثل .

ومنها: أن شرط رد من جاء من الكفار إلى الإمام لا يتناول من خرج منهم مسلما إلى غير بلد الإمام، وأنه إذا جاء إلى بلد الإمام لا يجب عليه رده بدون الطلب، فإن النبى ﷺ لم يرد أبا بصير حين جاءه، ولا أكرهه على الرجوع، ولكن لما جاؤوا فى طلبه مكنهم من أخذه، ولم يكرهه على الرجوع .

ومنها: أن المعاهدين إذا سَلَّمُوهُ، وتمكنوا منه، فقتل أحدا منهم لم يضمه يديّة، ولا قَوْدٍ، ولم يضمه الإمام بل يكون حكمه فى ذلك حكم قتله [لهم]^(٣) فى ديارهم،

(١) فى هـ : «لا أن يرد»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.

(٢، ٣) ليست فى ق، ك، وما أثبتناه من خ، هـ .

حيث لا حكم للإمام عليهم، فإن أبا بصير قتل أحد الرجلين المعاهدين بذي الحُلَيْفَة، وهى من حكم المدينة، ولكن كانوا^(١) قد تسلموه، وفصل عن يد الإمام وحكمه .

ومنها : أن المعاهدين إذا عاهدوا الإمام، فخرجت منهم طائفة، فحاربتهم، وغنمت أموالهم، ولم يتحيزوا^(٢) إلى الإمام، لم يجب على الإمام دفعهم عنهم، ومنعهم منهم، وسواء دخلوا في عقد الإمام، وعهده، ودينه أو لم يدخلوا، والعهد الذى كان بين النبي ﷺ وبين المشركين لم [يكن]^(٣) عهدا بين أبى بصير وأصحابه وبينهم، وعلى هذا، فإذا كان بين بعض ملوك المسلمين وبعض أهل الذمة من النصارى وغيرهم عهد، جاز للملك آخر من ملوك المسلمين أن يغزوهم، ويغنم أموالهم إذا لم يكن بينه وبينهم عهد، كما أفتى به شيخ الإسلام [تقى الدين بن تيمية قدس الله روحه]^(٤) في نصارى مَلْطِيَّةَ، وسبيهم، مستدلا بقصة أبى بصير مع المشركين .

(١) في هـ : «كانا»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.

(٢) في هـ : «تتحيز»، وما أثبتناه من خ، ق، ك.

(٣) ليست في ق، ك، وما أثبتناه من خ، هـ .

(٤) ليست في خ، ق، ك، وما أثبتناه من هـ .